مشهد من مسرحية كليوباترا

للشاعر محمد شوقي

يرفع الستار عن هيكل من الهياكل المصرية على الطراز الفرعوني . . الوقت مساء الشمس وجهه طلائع الليل . . تسمع من الداخل موسيقى الارغن والقيثار تعزف عزفاً لينا مخدراً يخلب الالباب ويبعث في أعماق النفس أمواجاً من المشاعر المبهمة . . بعد لحظة يشاهد شاب يقطع المدخل في خطى مضطربة . في ملابس تدل على عراقته ونبله . . عند ما يمس الهيكل يسرع إليه كاهن من الاهاب

الكاهن الصغير : مولاي . . . من هذا المعبد ؟ !

الشاب (في لهفة) : أدع أبي . . . أدع أبي . . . !

الكاهن : (يسرع ويسمع صوته من الداخل)

أبي . . . إلى مستنجد . . . الى الأمير الطيب

الشاب (وحيداً يحدث نفسه)

كفى خداعاً وتضليلا . . . تراني صرت مخبولا ؟ !
بأوهام تملقني . . . ووعد بات مطولا
وكم سلت لظى غضبي . . . لتسكب ثم مصقولا
فأذقتك الهوى وهماً . . . ويُعطيني . . . (يضغط على أسنانه غيظاً)

الكاهن الاكبر : جئت ! ؟ .

الشاب (بألم) : مقتولا . . . ! !

(ثم يسترجع شجاعته)

ألا . بل . لن أرى غرّا . . . فإني اليوم حُرّرتُ
سنا الحرية الوضّاء . . . بعد الشك قد لمحتُ
وها أنذا بقيد الحب . . . قيد الذل قد ثرتُ

أحطّم في الهوى قيدي ... تبرى بالنوى المقتُ
أضج اليوم من غضبي ... وذنبك أيّما شئتُ
أأقتله ؟ .. أأقتلها .. ؟ ... إلهي ... إنني حرتُ ..!

الكاهن : وويلك يا بنيّ حذار تُلقي ... قيادك للغرام الجائع
ان الصولجان اذا عدا لك تخوضت ... مصر بفعلك في ظلام كالح
لست الذي ان زلّ تُرفأ زلّة ... أنت الذي ان زل غيّت فوادح

الشاب : أبي .. يُرضيك إن أحيا ... طريد الهم والعار
تطاردني عيون الناس ... بالمقت وبالازري
إذا سلّ اللظى سيفي ... يغلّ الحب بنّادي ..

الكاهن : تعال معي إلى الهيكل ... إلى قدس الشفاعات
ومن آمون فاستوحل ... بمشبوب الضراعات
سكينة قلبك المثقل ... وترياق الجراحات ...

(يدخلان الهيكل وتسمع موسيقى ارغن وعزف قيثار ثم كورس يردد آمون .. آمون)
(الشاب يركع أمام الهيكل والكاهن يباركه)

الكاهن : آمون رحماك فاسكب ... سكينة العبّاد
هذا بناك الحب ... هذا الرفيع العماد

الكورس يردد مع الارغن : آمون .. آمون ...

الامير : آمون رحماك رفقاً ... إني غدوت شقيا
السهد بات وسادي ... والغيظ .. أهل .. ريّا
والقلب نهب شجون ... قد مزقت جنبيّا ..
آمون سرّ وجودي ... هلاّ نظرت إليّا .. ؟!

الكاهن يردد : آمون رحماك فاسكب ... سكينة العباد

هـذا فتـاك المحبّ هـذا الرفيع العماد

الكورس (يردد مع الارغن) آمون . . آمون . . .

(كليوباترا تبدو منفعلة مع وصيفتها وعليها سيماء الهم والحزن)

الوصيفة : ثقي واستبشري خيراً بتصريف المقـادير

الملكة : يحيّرني ويزعجني نهاراتي وهـا . . . ليلُ
فلا وسنٌ توافيني ولا وافت له رسلُ
وان تراوح الانفـاس إن مرّ القنا وصلُ . .

(الكاهن الصغير يقابلها في بهو المعبد فينتفض سروراً)

الكاهن الصغير : إيزيس . . ! ! يا مليكتي ؟ تباركتْ إيزيسُ

(الملكة يطير اثرها ابتسامة خفيفة ثم يعود الملكة الصغير فالكاهن الاكبر . . حيث تجلس على أريكة)

كليوباترا (منفعلة) أبي ؟ . أبي . أين أبي ؟

الكاهن الصغير : مع الركوع السجّدِ

(تسمع التراتيل)

الملكة : قد هام في صلاته ! ؟

الكاهن الصغير : في نشوة التهجد (يخرج)

الملكة تناجي : ربّ جئتُ اليوم مضناةً لأشكو لك دائي
روّعت قلبي شجونٌ أرهقتني بُرحائي
الحبيب الراسخ الودّ عن الانظار ناءْ
في سبيل الحب والعلياء يحمـدود رجائي
ترك الصبر فراغاً واشتقائي . . واشتقائي
أي شيء يا إلهي جدّ هن رام جفائي ؟
أم كذوب شاب بالسـم قلوب الأرياء

(بعد فترة تنقطع . تنام التراتيل ويدخل الكاهن الاكبر)

الكاهن الاكبر : أهلاً بنسل المالكين أهلاً بشمس الفلك
أهلاً بنور الحائرين أهلاً ببدر الحلك

(كليوباترا تنهض وتقف في خشوع فتقول)

أزدهي المعبد بالحسن السني بهاءي في جلال كالوحي
ألق من عرش إيزيس تجلى قدسيًا في حمانا القدسي
كليوباترا : يا أبي . قد قاد في الآن حنين لحمى الآرباب طاغٍ كالآتي
علني أحظى بساعي نفحة تهيج النفس بريّاها البهي

(يبدو الامير عند المدخل فتواصل للكاهن كأنها لم تره)

كم رغاب مرهقات لُحن لي فأوقّاها برشد أو بغيّ
من لي اليوم بقلب حاذري طاهر الود من الروح النقي
لا يروم الود إلاّ خانعاً تابت العبد . وإن جرت صفي ؟!

الامير لنفسه أستذار أم نداء أم رضى ؟ ويح لي من سحرها عزمي إليّ !

(متقدماً نحوها مستجمعاً شجاعته)

أنت لا ترضين إلاّ صحبة ودّهم بين وبالويلات جاءوا
كلهم ذئب أتى مستأسداً عضه الجوع . له من مصر شاة
من بني روما اللئام طعمة تنضح الشر . خساس جبناء
فلهم في مصر سفدّى وهوًى ومراح . في حمانا حيث شاءوا
فالام ترضيهم بيننا أترى العوم قلانا والمداة ؟!
ما دهانا ؟ . هل عرتنا خيلة يزعم الأعداء أنا حلفاء
وإذا الميّن ارتفته أمة فعلى إصباحها دان المساء
قد أمنّا واستطبنا ودّهم إسخري . ولتسعقبنا بإصعادا
لا . وآمون الذي نعنوا له لن نسام الذل . أو حق الفناء . .